الطواشية ودورهم في دولة سلاطين المماليك

د/ آسيا بنت سليمان النقلي
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
جامعة الرياض للبنات

الطواشية فئة من الفئات التي وجدت في المجتمع في عصر دولة سلاطين المماليك في مصر والشام ، وكان لها دورها الهام في تلك الفترة التاريخية الممتدة من ٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م .

وسوف نتناول هذه الدراسة على النحو التالي :-

أولا : التعريف بلفظ الطواشي ومرادفات هذا اللفظ .

ثانيا : أجناس الرقيق في دولة سلاطين المماليك، وأجناس الطواشية كفئة من فئات الرقيق، الأماكن التي يجلبون منها، أماكن إجراء عمليات الخصاء للرقيق .

ثالثا : دور الطواشية في المجتمع المملوكي:-

أ – استخدامهم في تربية المماليك داخل الطباق السلطاني .

ب – استخدامهم في الخدمة داخل البيوت والقصور السلطانية .

جـ – الوظائف التي تولاها الطواشية و الأعمال التي أوكلت إليهم .

رابعا: المكانة التي وصل إليها الطواشية في الدولة، وأمثلة لبعض هؤلاء الطواشية.

خامسا: مشاركة الطواشية في الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمع المملوكي عن طريق بناء المدارس والجوامع، ووقف الأوقاف للصرف على هذه المنشآت وعلى المترددين عليها .

سادسا: عمل مقارنة لتوضيح الفرق بين الأغا والطواشي .

سابعا: الخاتمة.

التعريف بلفظ الطواشي ومرادفاته

الطواشي: جمعه طواشية، وهو لفظ تركي، أصله باللغة التركية " طابوشى"، وحرفته العامة وقالت طواشي [١].

والطواشي هو الخصيّ. وقد ذكر السبكى أن الخصيان ثلاثة أنوع، هم: الممسوح ، والخصيّ ، والمجبوب [٢].

الممسوح: الذي ذهبت أنثياه وذكره بالكلية، قال السبكى: " ذهب أكثر أصحابنا إلى جواز نظره إلى الأجنبيات. "

والخصيّ: هو الذي ذهبت أنثياه دون ذكره .

أما المحجوب: فهو الذي ذهب ذكره دون أنثييه؛ وذكر السبكى أن الخصيّ والمجبوب ((لا يحل لواحد منهما أن ينظر إلى الأجنبية على الصحيح. وهذا كله في نظر الطواشي إلى الأجنبية)) .

وبالنسبة لنظر الطواشي إلى سيدته، فيقول السبكى:" أنّ أكثر أصحابنا يقول إن نظر العبد إلى سيدته حلال، وإن كان سيلم الذكر والأنثيين . هذا ما رجحه الرافعيّ والنوويّ. وعلى هذا نظر الطواشي أولى بالحل ". ويضيف السبكى أنه " إذا اجتمع كونه طواشيا وكونه مملوكا لسيدته فهو أقرب إلى الجواز ممن لم يجتمع فيه الأمران.

ولذلك جوز مالك نظر المرأة إلى الطواشي إذا كان مملوكا لها أو لزوجها، ومنعه إذا لم يكن كذلك "[٣].

---

(١) انظر: المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ ، ط . بولاق ، القاهرة ١٨٥٣ م.

(٢) السبكى: معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٣٩ ، القاهرة ١٩٤٨ م ؛ انظر أيضا السيوطي: آكام العقيان في أحكام الخصيان ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٤١٦ مجاميع ، ورقة ٨٩ ب .

(٣) السبكى: معيد النعم ، ص ٣٩. ولمزيد من التفاصيل عن أخلاق الخصيان انظر: العينتابى: القول السديد في اختيار الإماء والعبيد ، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٧٧ مجاميع م، الرسالة السابقة ، لوحه ٧٨ ب

وعرّف القلقشندى الطواشي بأنه لفظ يطلق على من يتحدث على باب ستارة [١] السلطان أو الأمير من الخدام والخصيان، ومهمته حفظ حريم السلطان على وجه الخصوص [٢].

هذا عن التعريف بلفظ الطواشي . أما عن مرادفات لفظ الطواشي فقد تبين لنا من خلال المصادر أن لفظ الطواشي يرادفه لفظ الخادم، والطواشية يرادفها لفظ الخدام: فقد ذكر المقريزي أثناء وصفه للقبة المنصورية [٣] التي بناها الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي[٦٧٨ – ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩– ١٢٩٠م] أن بهذه القبة قاعة معدّة لإقامة " الخـــدّام الملوكية الذين يعرفون اليوم بالطواشية، وأحدهم طواشي" [٤].

وذكر ابن تغري بردي في ترجمة الطواشي كافور بن عبد الله الهندي الناصري الزمردي أنه " كان من أعيان الخدام في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون " [٥].

كما ذكر أيضا ابن تغري بردي في ترجمة الطواشي كافور بن عبد الله الصرغتمشى الرومي الزمام ، أن كافور هذا " خدم عند الملك الظاهر برقوق بواسطة زوجته خوند هاجر بنت منكلى بغا الشمسي في أوائل سلطنته، واستمر من جملة الخدام الكبار في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق "[٦].

---

(١) الستارة: لقب للمرأة الجليلة ، أي أنه كان يكنى عن المرأة بالستارة التي تنصب على بابها حجابا. وباب الستارة تعنى هنا الباب الخاص بحريم السلطان أو الأمير. انظر : القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٥ ، ص ٥٠٢، ج ٦ ، ص ٧٧ ، ١٧٢ .

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ – ٤٦٠ .

(٣) عن تفاصيل هذه القبة انظر: المقريزي : الخطط ، ج ٢، ص ٣٨٠ وما بعدها .

(٤) المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ . ولمزيد من التفاصيل عن لفظ الخادم انظر :

- Dozy, R. Supp. Dict . Ar., Paris ١٩٢٧, Vol. I, P. ٣٥٥ ;
- Ayalon, D., On the Eunuchs in Islam, Jerusalem Studies in Arabic and Islam, Vol. I, ١٩٧٩, Pp. ٨٤ – ٨٩.

(٥) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج ٩، ص ١١١ .

(٦) المنهل الصافي ، ج ٩ ، ص ١١٢ – ١١٣ . راجع أمثلة أخرى في المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ٤١٣ – ٤١٤ ، ص ٤١٦–٤١٧، ج ٩ ص ١٨١، ١٩٦.

أجناس الطواشية في دولة المماليك :-

اهتمت سلطنة المماليك كغيرها من مجتمعات العصور الوسطى بالرقيق[١]، فالرقيق كان يشكل عنصرا هاما من عناصر كل هذه المجتمعات في تلك الآونة، خاصة أنه كان يستخدم للخدمة العسكرية في الجيوش، وهذا الغرض يعد من أهم وأرقى الأعمال التي استخدم فيها الرقيق في مجتمعات العصور الوسطى، وذلك للاعتقاد السائد بأن هؤلاء الرقيق ليست لهم روابط تربطهم بأصولهم سواء بعشائرهم أو أجناسهم أو أوطانهم، وأنهم لذلك كانوا أكثر طاعة وولاء لأسيادهم من المقاتلين الأحرار[٢] .

أيضا كان الرقيق يعد أساسا للخدمة المنزلية في تلك الفترة في الشرق والغرب جميعا؛ لذلك اهتمت سلطنة المماليك بجلب الرقيق الأبيض والأسود إلى أراضيها، وشجعوا التجار بكل الوسائل للقدوم إلى السلطنة وجلب الرقيق معهم .

وكانت مواطن الرقيق الأبيض في الشمال من بلاد الروم وأرمينية وفارس وحول بحر قزوين، وحول البحر الأسود وآسيا الصغرى، وبلاد مابين النهرين، وبلاد التتار، وبلاد القوقاز، والجركس، وإقليم آسيا الوسطى .

---

(١) كلمة رقيق تشمل في معناها العام من حيث الجنس كلا من العبيد الذكور والجواري الإناث. أما من حيث اللون فهي تشمل الأرقاء أيا كان لونهم أبيض أو أسود أو غير ذلك. ولكن ألف الناس أن يستخدموا في تعبيراتهم كلمات محدودة للتمييز بين الرقيق الأبيض والرقيق الأسود. فالرقيق الأبيض أطلقوا عليه " مملوك " وجمعها " مماليك ". بينما أطلقوا على الرقيق الأسود " عبد " وجمعها "عبيد". ثم حدث تطور ملحوظ بالنسبة لكلمة " عبد " فأصبحت تطلق على الرجل الأسود، بصرف النظر عما إذا كان عبدا أو جرا. انظر :

- Lewis, B., Race and Color in Islam, London ١٩٧١, Pp . ٣٨ – ٣٩.

(٢) انظر:

- Saunders, J . J., A History of Medieval Islam, London, ١٩٦٢, P.١٢٠.

وكانت سواحل البحر الأسود الشمالية ومنطقة القرم تعد المركز الرئيسي لتجمع الرقيق الأبيض. وإلى هذا المركز كانت تجلب جماعات الرقيق من الروس[١]، والقوقاز، والجركس[٢] والقفجاق[٣]، والآص[٤]، واللان [٥] [٦].

---

(١) الروس : تقع بلادهم في أقصى الشمال، ويرجح أنهم الفرع الشرقي من الفيكينج، أي سكان البلاد التي تعرف اليوم باسم السويد ، والذين خرجوا من بلادهم اسكندناوة واتجهوا بتجاراتهم إلى شرق أوروبا، وسرعان ما امتزجوا بالسلاف الشرقيين، انظر:
ليلى عبد الجواد إسماعيل: تاريخ الروس من خلال المصادر العربية، القاهرة ١٩٩٠م ص ٦- ١٢.

(٢) الجركس: تقع بلاد الجركس شرقي البحر الأسود. وهم جنس من الترك، وكان يغلب عليهم دين النصرانية. قال القلقشندى: "وقد صار في زماننا منهم أكثر عسكر الديار المصرية من لدن ملك الظاهر برقوق فانه أكثر الأجلاب منهم" انظر :صبح الأعشى ج٤ ص٤٦٢ ، ج ٥ ص ٤١٦،
راجع أيضا:
- Ayalon, D., The Circassian in the Mamluk Kingdom, No. IV, in: "Studies on the Mamluks of Egypt, ١٢٥٠-١٥١٧", London ١٩٧٧, ١٣٦-١٣٩.

(٣) القفجاق: تقع بلادهم بين نهر إرتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين، ويطلق علي مغول القفجاق اسم القبيلة الذهبية نسبته إلى خيم معسكراتها ذوات اللون الذهبي، وكان اغلب أهلها ترك وتركمان. انظر : المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١ ص ٣٩٤، حاشية ٣؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى في مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥م ،ص٢٢٦.

(٤) الآص: تقع بلادهم في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة القرم قرب ميناء كافا (كفا) الذي كان أكبر أسواق الرقيق الأبيض في العصور الوسطى. القلقشندي: صبح الأعشى ،ج٤،ص٤٦٥.

(٥) اللان: بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورة للخزر، وهم نصارى ،ويذكر الجغرافيون العرب أن بلاد اللان تقع على المنحدر الشمالي لجبال القوقاز. انظر؛ ياقوت: معجم البلدان ،ج ٥ ،ص ٨-٩ ؛أبو الفدا: تقويم البلدان،ص ٢٠٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٤ ص ٥٤،حاشية(٣).

(٦) انظر: القلقشندى : صبح الأعشى ،ج ٤ ؛ ص٤٦٠-٤٦٤،٤٦١- ٤٦٥؛ المقريزي : السلوك ،ج ١ ، ص ٧٥٥-٧٥٦؛ ابن ثغري بردى : المنهل الصافي ، ج ٣ ، ص ٢٥٥-٢٥٦؛ راجع أيضا عن تجارة هذه الأجناس :
- Heyd, W., Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, I, II , P.٥٥٦, Leipzig ،١٩٢٣.

وتعتبر مدينتي كافا (كفا) Caffa وتانا Tana في منطقة القرم شمال البحر الأسود هما أكبر مركزين لتجارة الرقيق الأبيض في العصور الوسطى [١].

أما بالنسبة للرقيق الأسود؛ فتعتبر إفريقية الموطن الأصلي لهم في العصور الوسطى. وكما وجد للرقيق الأبيض مراكز لتجميعه، وجدت مراكز مماثلة للرقيق الأسود مثل : بلاد النوبة جنوبي مصر، ومدينة سنار[٢] ومدينة الأبيض [٣] ومدينة زويلة [٤] وبلاد البجة [٥] ومدينة شندى[٦].

وتعتبر الهند ، إلى حد ما من مواطن الرقيق الأسود إلى جانب إفريقية ، وذلك لسمرة بشرة الهنود. وكان السبب في كثرة أعداد الرقيق بالهند كثرة الحروب بين ممالك الهند المختلفة ، مما أدى إلى كثرة وجود سبىّ بصفة مستمرة . وقد ذكر العمري

---

(١) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٣ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ . ويذكر القلقشندى أن "كفا هي فرضة القرم ... وهى على ساحل بحر القرم" انظر: صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٦٠.

(٢) سنار: مدينة على النيل الأزرق في السودان. انظر: حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة ١٩٨٧م، ص ٣٣٥؛ وراجع وضعها على الخريطة ص ٣٣١. راجع أيضا : حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية في افريقية ، القاهرة ١٩٦٢م ، ج ١ ، ص ٣٧٦.

(٣) الأُبيِّض: هي عاصمة مديرية كردفان في السودان. انظر: حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص ٣٣٧ وراجع وضعها على الخريطة ص ٣٣١. انظر أيضا: نعوم شقير:جغرافية وتاريخ السودان،بيروت ١٩٧٢ م، ص ٥٥٧.

(٤) زويلة: مدينة متاخمة لأرض السودان من حد المغرب، وهى قريبة من بلاد كان . انظر: الاصطخرى:المسالك والممالك، القاهرة ١٩٦١م ، ص ٣٤-٣٦؛ البكري: المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، الجزائر ١٨٥٧م، ص ١١؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٥٩-١٦٠ ، ط.دار صادر بيروت.

(٥) البُجَة – البُجَاة- بُجَاوة: تقع بلاد البُجَة بين نهر النيل والبحر الأحمر، وذكر ياقوت أنها أرض بالنوبة، وأن سكانها أمم عظيمة بين العرب والحبش والنوبة، وألوانهم "بين السواد والبياض". انظر: معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٣٩ ؛ الإصطخرى: المسالك و الممالك ، ص ١٩ ،٣١-٣٢ ، ٤٢ ؛ المقريزي: الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٤-١٩٧ ؛

- Lewis, B., Race and Color., Pp. ٢٩ , ٣٥.

(٦) شندى: مدينة على النيل الأبيض شمال مدينة أم درمان في السودان. انظر: حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص٣٣١،٣٣٠، راجع أيضا: بوركهارت: رحلات بوركهارت، مصر ١٩٥٩م، ص ٢٤٦ .

ذلك قائلا " لا يخلو يوم من الأيام في دهلى من بيع آلاف مؤلفة من الرقيق لكثرة السبي"[١].

ومن الملاحظ أن مراكز تجمع الرقيق بأجناسه وألوانه المختلفة خلال فترة العصور الوسطى كانت تعتبر بمثابة الأسواق العالمية لتجارة الرقيق، فإلي هذه المراكز يتوجه تجار الرقيق ويشترون الأعداد المطلوبة منه ، ثم يتوجهون بها إلى أسواق الرقيق المحلية في البلدان المختلفة لبيعه هناك .

ولأهمية الرقيق في مجتمعات العصور الوسطى، كثر الطلب عليه والحرص على شرائه بأجناسه وألوانه المختلفة، وكثر الطلب على شراء الخصيان من الرقيق.

ونتيجة لذلك لجأ تجار الرقيق إلى إخصاء بعض الرقيق الذكور الذين معهم، وذلك سعيا وراء الربح الكثير، حيث أن أثمان الخصيان كانت تفوق بكثير أثمان بقية الرقيق المجلوب[٢] وكان الطلب متزايدا على الخصيان السود والبيض على حد سواء، ولكن كانت غالبية الخصيان المجلوبين من السود، في حين كان الخصيان البيض نادرين، وأسعارهم بالغة الارتفاع[٣].

مراكز إخصاء الرقيق الأسود والأبيض:-

كان الخصيان السود معظمهم من الأحباش. وكانت أهم مدينتين تجرى بهما عملية الخصاء في إفريقيا هما مدينتي "وَشَلَوْ"، و" هَدْيَة " من بلاد الحبشة[٤]. ويذكر

---

(١) ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٤٣٧٦ ج، ج ٥، ورقة ١٠اوجه. راجع أيضا: ماركو بولو: رحلات ماركوبولو، مصر ١٩٧٧م ، ص ٣٠٧ .

(٢) انظر: ألف ليلة وليلة ، ط. صبيح ، ج ١ ، ص ١٣٠ حيث ورد بها " كان العبد إذا أُخصى يباع بأغلى الأثمان لأنه كان طواشيا " .

(٣) انظر:

- Lewis , B. , Race and Slavery in the Middle East , Oxford , ١٩٩٠ , P . ٥٩ ;

- Ayalon, D., The Eunuhs in the Mamluk Sultanate , Pp. ٢٨١ – ٢٨٢.

(٤) أبو الفدا : تقويم البلدان، ١٦٠ – ١٦١ حيث ذكر أن" هَدْيَة من بلاد الحبشة ، ومنها تجلب الخدام ، ويخصونها في قرية قريبة من هَدْيَة " . انظر أيضا: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٣٢٧ – ٣٢٨.

القلقشندى أن أهل وشلو همج لا دين عندهم، فتخصى بهم العبيد، ولا يُقدم على هذا في جميع بلاد الحبشة سواهم؛ ولذلك كان التجار إذا اشتروا العبيد يخرجون بهم إلى وَشَلَوْ فيخصونهم بها لأجل زيادة الثمن، ثم يحمل من خصي منهم إلى مدينة هدية لقربها من وَشَلَوْ " فيعالجون بهدية إلى أن يبرؤا. ولأن أهل وَشَلَوْ وإن كان لهم معرفة بالخصى، فليس لهم معرفة بالعلاج ، بخلاف أهل هدية فأنهم قد دربوا على ذلك وعرفوه"(١).

ومع ذلك كان الذي يموت من هؤلاء الخصيان أكثر من الذي يعيش. حيث إن أضر ما عليهم كان حملهم بلا معالجة من مكان إلى مكان " فأنهم لو عولجوا في مكان خصيهم كان أرفق بهم" (٢).

كذلك يذكر الأستاذ Bovill أن قبائل "الموس" الإفريقية كانوا يتميزون بمهارة كبيرة في هذه العملية، وأنهم احتفظوا بطريقتهم سرًا، وكذلك أهل "برنو". وأن أهل الموس وبرنو تمتعوا بشهرة عالمية في تجارة الخصيان السود(٣).

أما الخصيان البيض فهؤلاء كان معظمهم من الصقالبة والروم(٤). وكان اليهود يحتكرون صناعة الخصيان البيض(٥). وقد اتفق كل من ابن حوقل والمقدسي في أن الصقالبة الخصيان كانوا يجلبون من الأندلس " لأنهم عند قربهم منها يخصون، ويفعل ذلك بهم تجار اليهود" (٦).

---

(١) صبح الأعشى ، ج ٥ ، ٣٢٧ – ٣٢٨.

(٢) صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٢٨.

(٣) انظر: زاهر رياض: الممالك الإسلامية في غرب إفريقية ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٣١٥.

(٤) المقدسي:أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٩٠٦م، ص ٢٤٢. وقد حدد ابن الفقيه أرض الروم بأنها"غربية دبوريه وهى من إنطاكية إلى صقلية ومن القسطنطينية إلى توليّه الغالب عليها رومي وصقلبي وأندلسي" ، انظر: ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٨٨٥م ، ص ١٤٥ .

(٥) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ليدن ١٩٣٨م، ق١، ص١١٠؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٤٢.

(٦) كتاب صورة الأرض ، ق ١ ، ص ١١٠؛ أحسن التقاسيم ، ص ٢٤٢ ؛ راجع أيضا:

- Ayalon, D., On The Eunuchs in Islam, Pp. ٩٥-١٠٤.

ويبدو أن المنطقة التي يقصدها كل من ابن حوقل والمقدسي هي"فردان" بمقاطعة اللورين في فرنسا[١]، لأن فردان كانت مركزا لتجارة الخصيان مع مسلمي الأندلس. ويتضح من ذلك أن الصقالبة كانوا يحملون إلى هذه المنطقة فيخصون بها، ثم ينقلون إلى الأندلس حيث يباعون إلى من يرغب في شرائهم [٢].

أما الخصيان الروم فيذكر ابن خرداذبة أثناء ذكره لجزائر الروم المشهورة أن جزيرة الذهب" بها كان يخصى الخدم" [٣].

وهكذا تعرفنا على الأماكن التي كانت تجرى بها عملية الخصاء بالنسبة للرقيق الأسود والأبيض .

ومن واقع استقراء المصادر التي بين أيدينا اتضح لنا أن الطواشية في دولة سلاطين المماليك كانوا ينتمون إلى الروم[٤] (اليونان)، والأحباش[٥] والهنود[٦] والتكرور[٧] من غرب إفريقية.

---

(١) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص٢٧٤.

(٢) لطفي عبد البديع: الإسلام في إسبانيا ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٣٦.

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩م ، ص ١١٣ .

(٤) أمثلة للطواشية الروم: انظر: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٤٤-٢٤٥، ج ٩، ص ١٥٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣؛ السخاوى: الضوء اللامع، ج ٣، ص١٧٣- ١٧٤، ص ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٢٢، ج ٤، ص٣٤٠- ٣٤١، ج٦، ص ١٧٥-١٧٦، ص٢٣٣-٢٣٤، ج٩، ص ١٦٣، ج١٠، ص ١٦٨. انظر أيضا :

- Ayalon , D., On the Eunuchs in Islam , P.١٠٦.

(٥) أمثلة للطواشية الأحباش، انظر: السخاوى: الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٦- ١٧ ، ص ٨١-٨٦ ، ص ٢٣٠-٢٣١ ، ص ٢٥٦-٢٥٧ ، ج ٦ ، ص ١٦١ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٦) أمثلة للطواشية الهنود، انظر: ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات ، ج٧ ،ص ٩٧ ، السخاوى: الضوء اللامع ، ج ٣ ،ص ١٩٣ ، ج ٥ ، ص ٣٢٦، ج ٦ ، ص، ٢٢٦ ،٤٠٢ ؛ ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ج ٩ ، ص ١١١ ؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ج ٤ ، ص ٢٠ ، ص ٧٦- ٨٠ ، ٩٤.

(٧) أمثلة للطواشية التكرور، انظر: السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٧٣ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٤م، ج ٣ ، ص ١٦٤.

أسماء الطواشية في دولة سلاطين المماليك :-

الملاحظ من خلال البحث عن الطواشية في كتب التراجم وغيرها من مصادر تاريخ عصر المماليك في مصر والشام، أن الطواشية من كل جنس من الأجناس التي ذكرناها كانت لهم أسماء خاصة بهم، ماعدا استثناءات قليلة كانت الأسماء تشترك بين أكثر من جنس .

فالأسماء للطواشية الروم كانت: فيروز[١]، مقبل[٢]، كافور[٣]، لؤلؤ[٤]، هلال[٥]، خشقدم[٦]، صندل[٧]، طقطاى[٨]، شاهين[٩]، فارس[١٠].

---

(١) انظر: ابن تغرى بردي: المنهل الصافي، ج ٥ ، ص ٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ج ٧ ، ص ١٣٨ ، ج ٨ ، ص ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦-٤٢٠ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

(٢) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ج١١ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٣) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ٣٩ ، ج ٦ ، ص ٣٤٢ ، ج ٩ ، ص ١١١ ، ١١٢-١١٣ ، ج ١١ ، ص ٢٣٥؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج٦ ، ص ٢٢٦ ، ج٩، ص١١١ -١١٢ .

(٤) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، ج٩ ، ص ١٨١-١٨٢؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص٢٣٣-٢٣٤ .

(٥) المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ٤١ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ٢٤٦ ، ج ١٠ ، ص ٢٠٨ .

(٦) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ٣٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٧٥ -١٧٧ .

(٧) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، ج ٦، ص٣٥٢-٣٥٤؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص٣٢٢ .

(٨) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ج ٦ ، ص ٤٢٨ – ٤٢٩ .

(٩) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٩٤، ٢٩٦.

(١٠) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، ج ٨ ، ص ٣٧٣؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٦٣، ١٦٤.

وأسماء الطواشية الأحباش كانت: مثقال[١]، جوهر[٢]، سرور[٣]، مرجان[٤]، يا قوت[٥]، عنبر[٦].

والأسماء بالنسبة للطواشية التكرور كانت: خالص[٧]، عنبر[٨] .

أما الطواشية الهنود فكانت تطلق عليهم الأسماء: مرجان [٩] ، كافور[١٠] ، خالص[١١] ، جوهر[١٢]، صندل[١٣] .

دور الطواشية في المجتمع المملوكي:-

لعب الطواشية دورا هاما وحيويا في دولة سلاطين المماليك، وكان هذا الدور واضحا في مجالين من أهم المجالات المؤثرة في الدولة .

---

(١) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي ، ج ٩ ، ص ١٩٥ -١٩٧ .

(٢) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي ، ج٥ ، ص ٣٦ – ٣٨ ، ٤٢ ، ج ٧ ، ص ٣٦٠ -٣٦٢ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٨٣- ٨٥ .

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣ ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٤) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، ج ١١، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج ١٠، ص ١٥٣ .

(٥) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ٢٠٦ .

(٦) السخاوي: الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ١٤٨ .

(٧) السخاوي: الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

(٨) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي ، ج ٨ ، ص ٣٤١ .

(٩) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي ، ج٥ ، ص ٣٢٦ ، ج ٦ ، ص ٤٠٢ ، ج ١١ ، ص ٢٣٥ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٥٣ – ١٥٤ .

(١٠) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٧٢م، ج ١١ ، ص ٣٠٣؛ المنهل الصافي، ج ٩ ، ص ١١١ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ٢٢٦

(١١) السخاوي: الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

(١٢) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، ج ٧، ص ٣٦٠- ٣٦٢ ؛ السخاوي: الضوء اللامع ج ٣، ص ٨٦.

(١٣) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٤ ، ص ٢٠ .

أولهما: مجال تربية المماليك الصغار في الطباق السلطاني لتكوين الفرسان الذين سيتحملون عبء الدفاع عن البلاد ويشكلون العسكرية المملوكية .

ثانيهما: مجال الخدمة في القصور السلطانية. وعلى الرغم من هذا الدور الهام للطواشية في عصر دولة سلاطين المماليك، إلا أنهم لم يصلوا إلى المكانة التي وصل إليها الخصيان في فترات التاريخ الإسلامي السابقة على هذا العصر، أمثال: كافور الإخشيدى[1]،ومؤتمن الخلافة [2]، وبهاء الدين قراقوش [3].

---

(1) كافور الإخشيدى: أشهر من عرف من العبيد السود، وكان يدعى أبو المسك كافور الإخشيدى . وقد انفرد بحكم مصر خلال الفترة (٣٥٥ -٣٥٧ هـ / ٩٦٦ ـــ ٩٦٨ م)، بل أنه كان يحكمها فعليا قبل هذا التاريخ بسنوات طويلة. وكافور هذا كان خصيًا حبشيًا، اشتراه الإخشيد من بعض أهل مصر، وترقى حتى صار من كبار القادة في الجيش، وأتابكًا لولديه أنوجور وعلي . فلما مات ابن طغج الإخشيد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م تحكم كافور في الدولة بحيث صار "الاسم للولد والدست لكافور". انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ٩٩ ؛ المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص٢٦ ؛ سيدة إسماعيل كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، مصر ١٩٥٠ م، ص ٥٥ ، ١٢٧ .

والأتابك: لقب من لفظين تركيين هما: أطا: بمعنى أب، وبك: بمعنى أمير. وكان هذا اللقب يطلق على كبير من الأمراء يتولى الوصاية والرعاية على الأمير أو السلطان القاصر. انظر: المقريزي السلوك ، ج ١ ، ص ١٤٦، حاشية(١)؛ القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ١٨ .

(2) مؤتمن الخلافة: كان خصيا أسود بقصر الخليفة الفاطمي العاضد، آخر الخلفاء الفاطميين في مصر (٥٥٥ـــ٥٦٧هـ/١١٦٠ـــ ١١٧٢م)، وكان العبيد السود قد ازداد مركزهم في الجيش الفاطمي وأصبحوا العنصر الغالب به، وسيطروا على القصر. فلما زاد نفوذ الوزير صلاح الدين يوسف بن أيوب في خلافة العاضد بدأ العبيد السود يقاومون هذا الأمر ويدبرون مؤامرة للقضاء على صلاح الدين وإزالته من الوزارة، ولكن صلاح الدين علم بتلك المؤامرة فأسرع بإرسال من اغتال مؤتمن الخلافة الرأس المدبر لهذه المؤامرة، وذلك في سنة ٥٦٤ هـ/ ١١٦٩م. انظر: أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، القاهرة ١٩٦٢م ، ج١ ق٢، ص٤٥٠ ـــ٤٥٢؛ ابن واصل: مفرج الكروب في إخبار بني أيوب، ج١، ص١٧٤، ١٧٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص٣٤٥ ـــ٣٤٧؛ انظر أيضا:

- Lewis, B., Race and Color in Islam, Pp: ٧٢ – ٧٣.

(3) هو بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدى، أبو سعيد. كان خصيا، ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية، وفوض إليه أمورها، واعتمد عليه في تدبير أحوالها، وهو الذي بني السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما، وبني قلعة الجبل، وله أعمال كثيرة بمصر. وقد توفى بالقاهرة سنة ٥٩٧ هـ/١٢٠١ م. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٩١ ـــ٩٢؛ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٩؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ، ج ٦، ص ١٧٦ .

أ- استخدام الطواشية في تربية المماليك داخل الطباق السلطاني :-

كما هو معروف أن دولة المماليك قامت أساسًا على سواعد الرقيق، وأن جلب الرقيق إليها بين الحين والأخر كان يعد بمثابة الدماء الجديدة التي تجرى في عروقها للحفاظ على حياتها واستمرارها؛ لذلك عمل سلاطين المماليك بكل الوسائل على تشجيع وإغراء التجار وعمل التسهيلات لهم للقدوم إلى أراضى السلطنة وجلب المماليك والجواري إليها.

وبالنسبة للمماليك الذكور كان السلاطين يحرصون كل الحرص على أن يكون المماليك المجلوبين من صغار السن كي يعلموهم ويكسبوهم المهارات داخل السلطنة، فينشأ المملوك منهم ويشب بولاء كبير لمعلمه وأستاذه، وللأرض التي نشأ وتربى عليها. وبعد ذلك يرتقي وينتقل في الخدمة رتبة بعد رتبة إلى إن يصير أميرا، وربما سلطانا فيما بعد.

ومن أجل ذلك بني الناصر محمد بن قلاوون[١] الطباق[٢] بساحة الإيوان بالقلعة لتربية المماليك السلطانية وسكناهم فيها. لذلك كانت الحاجة ملحة لوجود الطواشية في هذه الطباق، فكل طبقة كان لها "مقدم" يطلق عليه "مقدم الطبقة"، ومقدم الطبقة هذا كان لابد أن يكون من الطواشية الخصيان[٣]، وذلك حرصا على سلامة المماليك الأحداث

---

(١) تعتبر السلطنة الثالثة للناصر محمد بن قلاوون هي الفترة التي شهدت الإصلاحات الحقيقية في الدولة المملوكية وتمتد هذه الفترة من (٧٠٩ ـــ ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ ـــ ١٣٤٠م) .

(٢) كانت هذه الطباق تتكون من اثنتي عشرة طبقة، وكانت كل طبقة تختص بجنس معين من أجناس الرقيق، ويوضع فيها المماليك من جنس واحد. لمزيد من التفاصيل عن الطباق انظر: المقريزي: الخطط ، ج٢ ، ص ٢١٢ ـــ ٢١٤ ؛ خليل بن شاهين الظاهري: زبده كشف الممالك ، ص ٢٧ .

(٣) انظر:

-Ayalon, D., the Eunuchs in the Mamluk Sultanate, P. ٢٦٩ ,

- Ayalon , D., L' esclavage du Mamelouk , Pp. ١٢ ,١٤-١٥ ,٣٤ , ٤٩ , ٦١ , ٦٢.

الصغار الذين ينزلون الطباق وهم في سن صغيرة، وخوفا عليهم من الشذوذ الجنسي الذي ابتلى به المجتمع المملوكي في مصري [١].

ويذكر السبكى أن مقدم المماليك هو الذي إليه أمر المردان ـــ مفردها أمرد ، وهو الصبيّ دون سن البلوغ ـــ ولا يحل له المواطأة على الفجور بهم، ولا يُمكِّن بعضهم من مضاجعة البعض في فراش واحد . ويضيف أن الطواشية أشد الناس غيرة، وأكثرهم قيادة على من تحت أيديهم من امرأة أو مملوك [٢].

وكان السلاطين يهتمون اهتماما بالغا بتربية الرقيق ـــ المماليك الصغار ـــ داخل هذه الطباق. وفى هذه الطباق كان الطواشية يعملون كمشرفين ومؤدبين ومعلمين. ولولا وجود هؤلاء الطواشية داخل الطباق ـــ كمدرسة عسكرية ـــ لما استطاعت هذه المدرسة أن تؤدى دورها الذي أنشئت من أجله- وهو إمداد الطبقة الحاكمة بالفرسان الجدد بين الحين والأخر، ومن هؤلاء الفرسان يكون الأمراء، وربما السلاطين أنفسهم فيما بعد[٣].

وفى داخل الطباق منذ اللحظة الأولى لدخول المملوك الصغير إليه يتسلمه الطواشي المقدم على الطبقة،" فيضيفه إلي جنسه من المماليك، ويرتبه عند الفقيه فيربيه بالآداب والحشمة والحرمة" [٤].

فالمملوك يبدأ داخل الطباق في تلقى التعليم الديني والحربي. وتكون البداية بالتعليم الديني والتهذيب، فيبدأ الفقيه بتلقينهم كلمة الشهادة، ثم يتطهرون بالختان، ثم يقرأون ما

---

(١) عبر المقريزى تعبيرا صريحا عن انتشار هذا الداء بين المماليك في مصر فقال: بأنه فشي في أهل الدولة محبة الذكران حتى عمدت النساء إلى التشبه بالذكور في ملبسهم ليستملن قلوب الرجال. انظر : المقريزي: الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ؛ سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٢٢٥ ـــ ٢٢٦ ، ص ٢٢٨ ـــ ٢٢٩ .

(٢) انظر : السبكى : معيد النعم ، ص ٤٠ .

(٣) انظر:

- Ayalon , D., the Eunuchs in the Mamluk Sultanate, Pp. ٢٦-٢٦. -

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

تيسر لهم من القران العظيم وأحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ثم يعلمهم الفقيه كل ما يتعلق بالطهارة والصلاة والصوم وغير ذلك من الآداب الشرعية [١].

وعندما يكبر المملوك ويصل إلى سن البلوغ يبدأ في تعلم فنون الحرب داخل الطباق على أيدي معلمين متخصصين، فيتعلم رمى السهام ، ولعب الرمح ، والقوس ، والسيف، وركوب الخيل وأنواع الفروسية . فإذا استكمل "تلك الأصول فقد استكمل الفروسية " [٢].

وتوضح لنا المصادر أنه من خلال فترة بقاء المماليك داخل الطباق للتعليم والتدريب كان هؤلاء المماليك يخضعون للإشراف الدقيق والصارم من قبل طواشية الطباق والذين كان يطلق عليهم الأَزِمَّة ، ومفردها زَمّام . وهى كلمة تطلق على الطواشي الموكل إليه حفظ المكان. وقد سُمىّ زَمّامًا لأنه تُعلق جميع الطبقة بيده [٣].

وكان هؤلاء الطواشية يُعَاقَبون إذا قـصّروا أو أهملوا في تربية المماليك داخل الطباق، أو أهملوا التمسك بالأخلاق الفاضلة. ويذكر ابن تغري بردى أن الناصر محمد بن قلاوون أمر بعرض مماليك الطباق" وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية فـــرّقَهم على الأمراء، وأخرج بعد ذلك جماعة منهم من الطباق إلى خرائب التتار بقلعة الجبل، وضرب بعضهم بالمقارع هو وغلامه ـــ لكونه شرب الخمر ـــ ضربا مبرحا، مات منه المملوك بعد يومين . قـلُتُ ـــ أي ابن تغري بردى- لا شُلت يداه، هذا وأبيك العمل، ثم انقص السلطان جوامك [٤] من بَقِىَ من مماليك الطباق، ثم أخرج

---

(١) القدسي: دول الإسلام الشريفية البهية، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٠٣٣ تاريخ ، لوحة ٧٨ .

(٢) ابن قيم الجو زيه: الفروسية الشرعية، مصر ١٩٤٢ م، ص ١٠٧ .

(٣) انظر: خليل بن شاهين:زبده كشف الممالك، ص ١٢٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٤) جوامك مفرد جامكية: والجوامك هي الرواتب عامة. ذكر القلقشندى" أن نفقة مماليك السلطان كانت عبارة عن جامكيات وعليق وكسوة وغير ذلك " . انظر : صبح الأعشى ج ٣ ، ص ٤٥٣ .

من خدام الطباق الطواشية- أعني مقدمي الطباق- وقطع جوامكهم، وأنزلهم من القلعة لكونهم فرطوا في تربية المماليك"[1].

ب- استخدام الطواشية في الخدمة داخل البيوت والقصور السلطانية : -

استخدم كل من الرقيق الأبيض والرقيق الأسود – على حد سواء – في الخدمة المنزلية داخل البيوت والقصور السلطانية. ولما كان وجود الرقيق الذكور للخدمة داخل هذه البيوت سيؤدى بالضرورة إلى التعامل مع الحريم – سواء لتربية الأولاد – أم لخدمة سيداتهم – لهذا استلزم الأمر حفاظا على هذه البيوتات أن يكون هؤلاء الخدم الذكور في صورة أقرب إلى الأنوثة في تكوينهم العضوي، لذلك لجأ الناس، من سلاطين وحكام وغيرهم ، إلى استخدام الخصيان الطواشية في بيوتهم، حتى لا يكونوا – دون خصاء .. في عداد المحرم عليهم كشف حرمات البيوت. ويقال: إن الخصىّ ليس برجل ولا امرأة ، وأخلاقه مقسمة بين أخلاق النساء وأخلاق الصبيان [2]، فهو يعتبر نفسه رجلا بين النساء[3]. وكما سبق أن ذكرنا قول الفقهاء بان نظرة العبد إلى سيدته حلال، وعلى هذا فإن نظرة الطواشي إليها أولى بالحل [4]. أما فقهاء الحنفية فقالوا بأنه يكره استخدام الخصيان مطلقا، لأنه تحريض على الخصاء المنهي عنه [5].

---

(1) ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة : ج ٩ ، ص ٧٣ ؛ المقريزي : السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ـــ٢٣٠ ، ص ٣٤١ ـــ ٣٤٢ حيث ذكر المقريزي أن السلطان ضرب كثيرا من طواشية الطباق وطرد جماعة منهم وأنكر على المقدم الكبير الطواشي شجاع الدين عنبر السحرتى تهاونه حتى وقع ما وقع من نزول المماليك من القلعة إلى القاهرة . وصرفه بالأمير آقبغا عبد الواحد، وذلك سنة ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م . راجع الحادثة نفسها في النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٩٨ ـــ ٩٩ ؛ ابن حجر: إنباء الغمر ، ج١ ، ص ٢٦٥ .

(2) الجاحظ: مفاخرة الجواري والغلمان، ج ٢ من رسائل الجاحظ، القاهرة ١٩٦٤ – ١٩٦٥م، ص ١٢٣.

(3) السبكى: معيد النعم ، ص ٤٠ .

(4) السبكي: المصدر السابق، ص ٣٩ .

(5) السبكى: المصدر السابق ٤٠، السيوطي: آكام العقيان، ورقة ٨٩ أ .

على أية حال استخدم الطواشية في الخدمة داخل دور الحريم السلطاني، وهى التي اصطلح على تسميتها بـــ " الآدر السلطانية ". وكانت هذه الآدر تتكون من قاعات لسكن حريم السلطان ، وعادة كان للسلطان أربع زوجات ، يطلق على كل واحدة منهن " خوند "، ولكل واحدة منهن خدم وحشم وجوار طواشية [١]. ويذكر أحد الرحالة الأجانب أن كل واحدة من زوجات السلطان خصص لها أربعة طواشية خصيان بمثابة حرس دائم لها، ولا يفارقنها في أي مكان تذهب إليه[٢].

وتأكيد لما ذكره الرحالة الأجنبي، تذكر المصادر أن السلطان إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون اعتاد عند ركوبه للتريض في منطقة سريا قوس[٣] أن يصطحب معه في ركابه " مائتي امرأة في ثياب أطلس ملون، وعلى رؤوسهن الطراطير من الجلد المرصع بالجواهر، وبين أيديهن الخدام الطواشية[٤] .

ج- الوظائف التي تولاها الطواشية والأعمال التي أوكلت إليهم :-

وكان يشرف على جميع شئون هذه الآدر الشريفة طواشي كبير الشأن " تعلق جميع الآدر الشريفة بيده "، ويطلق علية " الزّنان دار " ويعبر عنه بالزمام دار. ويذكر القلقشندى أن هذه الكلمة مركبة من لفظين فارسيين، أحدهما: زنان ومعناه النساء، والثاني: دار ومعناه ممسك، فيكون معناه ممسك النساء، بمعنى أنه الموكل بحفظ الحريم. إلا أن العامة والخاصة قلبوا النونين فيها بميمين، فعبروا عنها بالزمام دار[٥] .

---

(١) خليل بن شاهين: زبده كشف الممالك، ص ١٢١.

(٢) راجع :

- Scheler, C., Le Voyage d`Quatremer de Jean Thenaud, Paris ١٨٦٤ , P. ٣١.

(٣) سريا قوس: بلدة من البلاد القديمة بمركز شبين القناطر بمصر، وكانت مكانا لنزهة السلاطين يذهبون إليها للصيد والنزهة. انظر: محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، القاهرة ١٩٩٤ م، ق ٢، ج ١ ، ص٣٥ .

(٤) انظر: المقريزي: السلوك، ج ٢، ص٦٧٩؛ ابن تغرى بردى: النحو الزاهرة، ج ١٠ ، ص ٩٧ .

(٥) انظر: القلقشندى: صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ – ٤٦٠ ؛ خليل بن شاهين : زبده كشف الممالك ، ص١٢٢ ؛ السبكى: معبد النعم ، ص ٣٩ – ٤٠ .

والزمام دار يُعَدُّ من أعيان أمراء الطبلخانات الذين لهم شأن وأبهة [١]. وكان تحت يد هذا الزمام عدة من الطواشية، يخدمون جميعهم داخل هذه الآدر السلطانية . وقد بلغ عدد هؤلاء الطواشية في بعض الأحيان نحو ستمائة طواشي، لكل منهم عمل خاص[٢]، ومن بين هؤلاء الطواشية كان خدام الستارة[٣]، وهؤلاء كانوا متعددين "كالبوابين، والحوائج كاشية[٤]، ومن هو مُرصد لتقاضى الأشغال، وسقائين وغير ذلك" [٥].

كذلك من الأعمال التي أُوكلت للطواشية داخل القصور السلطانية، عمل الجمدارية لإلباس السلطان[٦]، والبشمقدارية لحمل نعال السلطان[٧]. وكان منهم أيضا من عمل

---

(١) انظر: صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص٢١ حيث يذكر القلقشندى أن " زمامية الدور السلطانية " صاحبها من كبار الخدام، وهو المعبر عنه بالزمام، وعادته أن يكون أمير طبلخاناه ". راجع أيضا : زبده كشف الممالك ، ص ١٢٢ .
وأمير الطبلخاناه: مرتبة عسكرية ، يلي صاحبها أمير مائة مقدم ألف في الدرجة ، وسمى طبلخاناه: لأحقيته في ضرب الطبول على أبوابه، ويكون في خدمته مابين أربعين إلى ثمانين فارسا. انظر: صبح الأعشى، ج ٤ ، ص ١٥ ، ١٩ .

(٢) خليل بن شاهين : زبده كشف الممالك ، ص ١٢٢ .

(٣) انظر ما سبق ص ٣، حاشية (٢).

(٤) الحوائج خاناه: معناها بيت الحوائج ، وهى الجهة التي يصرف منها اللحم الراتب للمطبخ السلطاني والدور السلطانية ورواتب الأمراء والمماليك السلطانية وسائر الجند والمتعممين وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ أسماؤهم الدفاتر، وكذلك توابل الطعام للمطبخ السلطاني والدور السلطانية. انظر: صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٢ – ١٣ .
ويبدو أن الحوائج كاشية لفظ يطلق على الطواشية الذين يتولون إحضار هذه الرواتب المقررة من الحوائج خاناه، ويوصلونها للمطبخ السلطاني والدور السلطانية . وقد ورد اصطلاح الحوائج كاشية في زبده كشف الممالك ، ص ١٢٢ .

(٥) راجع: خليل بن شاهين: المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٦) ذكر القلقشندى في صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ أن الجمدار هو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه، وهو مركب من لفظين فارسيين، جاما: ومعناه الثوب، ودار: ومعناه ممسك، فيكون المعنى ممسك الثوب .

(٧) انظر صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص٤٥٩ .

خازندارا[1]. ومما يؤكد على أهمية دور الطواشية داخل قصور السلاطين ما أورده ابن إياس في أحداث سنة ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م أثناء وصفه للطاعون القاتل الذي أصاب البلاد، والذي أدى إلى فاة أعداد هائلة من الناس، ومن هؤلاء الناس الطواشية، قال ابن إياس:" ومات من الطواشية نحوا من خمسة وعشرين طواشيا، حتى قيل أن السلطان حمل بطيخة صيفي بنفسه حتى دخل بها إلى دور الحرم لقلة الطواشية" [2].

ومن الوظائف الهامة التي استخدم فيها الطواشية أيضا داخل القصور السلطانية كانت وظيفة "اللالا "، وهو الذي يربى الأطفال الذكور من أولاد السلاطين والأمراء. وكان هؤلاء "اللالات" من الطواشية يتعهدون الطفل من أولاد السلطان حتى يبلغ سبع سنوات[3]، إلا أن المقريزي أورد فقرة في أحداث سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩م ما يُفهم منها أن "لا لا" الأمير آنوك بن الناصر محمد بن قلاوون ظل ملازما للأمير حتى بعد أن كبر وتزوج . وملخص هذه الفقرة أنه صدرت بعض التصرفات من الأمير آنوك مع مغنية بالقصر تدعى " الزهرة " وأنه شغف بها. ولما اعترض والده الناصر محمد بن قلاوون على هذا السلوك وتلك التصرفات ، وأراد معاقبة المغاني، خافت "الزهرة " وامتنعت عن آنوك عدة أيام، ومازال آنوك يحاول حتى أتته سرا، ولها بها عن زوجته. فلما علم السلطان كاد يقتل ولده الأمير آنوك لولا وقوف أمه وجواريه في وجه

---

(1) الخازندار: هو المتحدث في شأن خزائن الأموال السلطانية من نقد وأمتعه، وهو ما يطلق علية القماش وغير ذلك، وهو من مقدمي الألوف. انظر: القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤ ، ٢١. وراجع أيضا : النجوم الزهرة ، ج ١٥ ، ص ٤٨٥ ؛

- Ayalon ,D., the Eunuchs in the Mamluk Sultanate , P. ٢٧١.

(2) انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٢٤.

(3) خليل بن شاهين: زبده كشف الممالك ، ص ١١١ ؛ المقريزي : السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ ، ٧٥٦ ، ج ٣ ، ص ٩٦٨ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج١٠ ، ص٣٢٤ ، ج ١٥ ، ص٧٢ ؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ج٣ ، ص٢٣٩ ؛ السخاوى: الضوء اللامع ، ج٣ ، ص١٧٥ ،ج٦ ، ص٢١٤ – ٢١٥ ، ج١٠ ، ص ٢٧٨ ، راجع أيضا :

– Ayalon , D. , The Eunuchs, P.٢٧٢.

السلطان. وترتب على ذلك أن السلطان تغير خاطره من الطواشي لالا الأمير آنوك، فعزله وعين مكانه آخر، وعاقب النساء والمغاني[1].

ومن الجدير بالذكر أنه في بعض الأحيان كان الطواشي لالا يرقى إلى وظيفة الزمام [2].

ومن الوظائف الهامة أيضا التي تصدى لها الطواشية في عصر دولة سلاطين المماليك، بالإضافة إلى الخدمة في الطباق والخدمة في القصور السلطانية، كانت وظيفة شيخ الخدام بالحرم النبوي الشريف – على ساكنه أفضل الصلاة والسلام– وكان شيخ الخدام هذا يرأس مجموعة كبيرة من الخدام الطواشية الذين ينتشرون في أنحاء الحرم النبوي الشريف. وتذكر المصادر تراجم مجموعة من هؤلاء الطواشية الذين خدموا بالحرم النبوي الشريف [3].

ولأهمية الطواشية في دولة سلاطين المماليك كان ملوك وسلاطين الدول الأخرى يرسلونهم كهدايا قيمة لسلاطين المماليك في مصر، ومن ذلك الهدية الجليلة القدر التي أرسلها صاحب اليمن الملك الأشرف ممهد الدين إسماعيل سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م إلى السلطان الظاهر برقوق، وكانت هذه الهدية تحتوى على "

---

(1) انظر: المقريزي : السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٩١ – ٤٩٢ .

(2) أمثلة لذلك: ترجمة الأمير الطواشي صفى الدين جوهر بن عبد الله الجلبانى الحبشي الزمام ، المعروف باللالا في: ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ٣٦ – ٣٨ ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٢٦١ . وانظر أيضا ترجمة الطواشي مثقال بن عبد الله الجمالي الحبشي الزمام في ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج ٩ ، ص ١٩٥ – ١٩٦ .

(3) من الطواشية الذين تولوا مشيخة الخدام بالحرام النبوي الشريف: الطواشي فيروز بن عبد الله الرومي الركني، والطواشي دينار بن عبد الله، والطواشي جوهر بن عبد الله التمرازي الخازندار، والطواشي صفى الدين الحبشي، والطواشي مثقال السودونى الظاهري جقمق الحبشي . انظر : ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج ٤ ، ص ٢٨١ ، ج ٥ ، ص ٤٣، ٣٣٣، ج ٨ ص ٤١٣–٤١٤، الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج ١ ص ٣٠٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٧٦، ص ٢٣٩–٢٤٠.

عشرة خدام طواشية، وأربعة عبيد ، وست جواري ....)[1]. وهناك أيضا هدية السلطان العثماني إلى السلطان الأشرف برسباى سنة ٨٣١ هـ / ١٤٢٨ م وكانت هذه الهدية تحتوى على " خمسون مملوكا كلهم من جنس الروم ، وطواشي أبيض ، ... " [2] .

ومن أغرب الحوادث التي ذكرتها المصادر عن الطواشية في العصر المملوكي، تلك الحادثة التي ذكرها ابن تغرى بردى في سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥م ، في سلطنة الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون [٧٤٦ – ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ – ١٣٤٧ م] . فقد ذكر ابن تغرى بردى أن السلطان ابتدع شيئا لم يسبق إليه " وهو أنه أعرس السلطان بعض الطواشية ببعض سرارية بعد عقده عليها. وعمل له السلطان مُهِمّـــاً – أي حفلاً – حضره جميع جواري بيت السلطان، وجليت العروس على الطواشي، ونثر السلطان عليها وقت الجلاء الذهب بيده ، فكانت هذه الحادثة من أشنع ما يكون، وعظم ذلك على سائر أعيان الدولة"[3].

أيضا من الحوادث النادرة للطواشية في ذلك العصر، ذلك الذي جرى للأمير جوهر الحبشي القنقباى الطواشي الخازندار والزّمام، وكان أمر هذا الطواشي قد عظم جدا، لاسيما في دولة الأشرف برسباي الدقماقى[٨٢٥ – ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ – ١٤٣٧ م]. وهو ينسب لخوند قنقباى زوجة الظاهر برقوق . والأمر النادر الذي وقع له " أنه تولى قضاء ثغر دمياط . وهذا قط مواقع لخصيّ يلي القضاء، فعد ذلك من النوادر"[4].

---

(1) المقريزي: السلوك ، ج ٣ ، ص٨٧٤ – ٨٧٥ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٦٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور ، ج ١ق٢ ، ص ٤٨٧ .

(2) ابن الصيرفي: نزهة النقوس ، ج ٣ ، ص ١٣١ .

(3) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، ج١٠ ، ص ١٢٣ – ١٢٤.

(4) ذكر هذه الحادثة ابن إياس في بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص٧ ٢٢. أما ابن تغرى بردى فلم يذكرها في ترجمته لجوهر القنقباى. انظر : المنهل الصافي، ج ٥، ص ٣٨ – ٤٢ .

المكانة التي وصل إليها الطواشية في الدولة:-

وبوجه عام كان الطواشية على امتداد عصر دولة سلاطين المماليك يتمتعون بحرمة وافرة ، وكلمة نافذة، وجانب مرعى، ومهابة في نفوس أهل الدولة جميعا، وذلك لأهمية الدور الذي كانوا يقومون به في الدولة [١] ؛ بل أنهم في أيام الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون (٧٤٣ – ٧٤٦ هـ/ ١٣٤٢ – ١٣٤٥ م) استولوا على أحوال الدولة، وعظم قدرهم بتحكم كبيرهم الطواشي عنبر السحرتى اللالا في السلطان، وصاروا يركبون الخيول الرائعة ويلبسون الثياب الفاخرة، واخذوا من الأراضي أرزاق [٢] كثيرة، وتشبه كبيرهم بالسلاطين وعمل له خاصكية[٣] وخداما ومماليك تركب في خدمته، وأكثر من شراء الأملاك والتجارة في البضائع، وأفرد له ميدانا يلعب فيه بالكرة وتصدى لقضاء الأشغال " فصارت الاقطاعات والرزق لا تقضى إلا بالخدام والنساء، ولا يزال الأمير الحاج آل ملك النائب يشنع بذلك، وإذا أتاه أحد يطلب منه خبزا[٤] أو رِزّقة يقول له :" النائب ماله حكم، رُح إلى باب الستارة، واسأل عن الطواشي فلان الدين و الطواشي فلان الدين يقضوا لك حاجتك "[٥] .

---

(١) انظر:

- Ayalon , D., the Eunuchs in the Mamluk Sultanate, Pp . ٢٦٧ – ٢٩٥.

(٢) الرِّزق (الأرزاق) ، مفردها رِزقة: وهى الأطيان التي كان يعطيها السلاطين بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانية إلى بعض الناس على سبيل الإحسان والإنعام، رِزقة بلا مال . والرِّزق الغير موقوفة تنحل بانقراض أصحابها. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٥٣، حاشية ٦.

(٣) الخاصكية: هم جماعة من حاشية السلطان يأتون في الترتيب بعد الأمراء المقدمين، وكان عددهم في أول الأمر أربعة وعشرين ثم زادوا على الأربعمائة. وقد تمتع الخاصكية بمكانة كبيرة فكانوا يدخلون على السلطان في أوقات فراغه وفى خلواته بغير إذن، وخصص لهم السلطان الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة، وامتازوا بحسن المظهر، وأناقة الركوب والملبس . انظر: خليل بن شاهين: زبده كشف الممالك، ص ١١٥ – ١١٦؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

(٤) خُبْز: جمعه أخْباز: لفظ أطلق في عصر المماليك على الإقطاع من الأرض، فيقال أخباز الأجناد أي إقطاعاتهم . انظر : سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص ٤١٢ .

(٥) المقريزي: السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٧٩ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٩٧ .

ولقد امتلأت كتب التراجم بالعديد من تراجم الطواشية، تصف فيها أحوالهم، والمكانة التي وصلوا إليها في المجتمع، والثروات التي امتلكوها وشغف بعضهم بالعلم والعلماء والصالحين، كما شغف بعضهم بتعمير الجوامع والمدارس وإيقاف ممتلكاتهم للصرف عليها وعلى مريديها .

ومن أمثلة هؤلاء، الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجمدار الناصري، الذي بني المدرسة البشيرية خارج القاهرة، بحكر الخازن المطل على بركة الفيل، في سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٠م . وذكر المقريزي أنه " جعل بها خزانة كتب، وهى من المدارس اللطيفة"[١]. والطواشي مقبل الزين الرومي زمام الآدر الشريفة، الذي عمر عدة أملاك ودور، ووقفها جميعا للصرف على مدرسته التي بناها في سنة ٧٩٧ هـ / ١٣٩٥م، والتي عرفت بالمدرسة الزمامية بخط البندقانيين بالقاهرة، وقد جعل هذه المدرسة "للجمعة والجماعات، بل فيها وظائف وخزانة كتب وغير ذلك "[٢].

ومثال آخر، الأمير الطواشي سابق الدين مثقال بن عبد الله الآنوكى الحبشي، مقدم المماليك السلطانية، وعظيم الدولة الأشرفية شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٦٤ ـــ ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ ـ ١٣٧٦ م) ، والذي بني المدرسة السابقية[٣] بالقاهرة في منطقة بين القصرين . ومن الأمور التي رصدتها المصادر عن الطواشي مثقال، أنه تزايدت حرمته عند الأشرف شعبان بن حسين بشكل ملحوظ ، لدرجة أن الأشرف أمر بان تخلع على مثقال خلعة، وبالفعل خلعت عليه خلعة بطرز ذهب،" وهو أول مقدم لبس الطرز الزركش". وقد ظل الطواشي مثقال معظما في الدولة إلى أن توفى سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م بالقاهرة[٤].

---

(١) المقريزي: الخطط ، ج ٢ ،ص ٣٩٩.

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٦٨ ؛ المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن المدرسة السابقية انظر: المقريزي: الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ ـــ ٣٩٤ ؛ ابن حجر: إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٤) انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج ٩ ، ص ١٩٦ – ١٩٧، النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٧٧٦ ؛ المقريزي السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٤٧.

وهناك أيضا الطواشي عنبر الحبشي الطنبذي، الذي تنقل في الخدمة حتى اتصل بخدمة الظاهر جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨ – ١٤٥٣ م) ، وصار من مقدمي الطباق البرانية، ثم رقاه الظاهر حقمق وجعله نائبا لمقدم المماليك، فأثرى وصلحت أحواله، وعمّر الأملاك، بل وفى أواخر عمره بني مدرسة بالباطلية [١].

أما الطواشى كافور الصرغتمشي الرومي الزمام، فقد كان من كبار الخدام عند الظاهر برقوق [٧٨٤ – ٧٩١ هـ / ١٣٨٢ – ١٣٨٨] ، [٧٩٢ – ٨٠١ هـ / ١٣٨٩ – ١٣٩٨م]، ثم عند ولده الناصر فرج بن برقوق [٨٠١ – ٨١٥ هـ /١٣٩٨– ١٤١٢م]. وقد خلف شيئا كثيرا وأملاكا ، وكان مغرما بالعمائر، أنشأ تربة بالصحراء عرفت باسمه، ووقف عليها أوقافا، وأنشأ أيضا مدرسة بحارة الديلم بالقاهرة[٢] .

الفرق بين الأغا والطواشى :-

وقبل أن نختتم بحثنا عن الطواشية ، تجدر الإشارة إلى ملاحظة هامة اتضحت لنا من خلال تدقيقنا في المصادر التي بين أيدينا، وهذه الملاحظة تختص ببيان الفرق بين الأغا والطواشى، خاصة وأن هناك من يعتقد أنه لا يوجد فارق بينهما .

فالأغا ، جمعها أغات ، ويقال أيضا أغوات . وكلمة أغا أصلها آقا، وهى من كلمات اللغة المغولية، معناها الأخ الكبير، وترد كثيرا في تاريخ المغول.

---

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٤٨.
والباطلية: إحدى حارات القاهرة في العصر الفاطمي، وقد عرفت بطائفة يقال لهم الباطلية . لمزيد من التفاصيل عن هذه الحارة انظر: المقريزي : الخطط ، ج ٢، ص ٨.

(٢) انظر: السخاوي: الضوء اللامع ج ٦ ، ص ٢٢٦. وحارة الديلم إحدى حارات القاهرة ، عرفت بطائفة الديلم الذين وصلوا مع أفتكين الشرابى، غلام معز الدولة أحمد بن بويه إلى القاهرة ، وسكنوا في هذا المكان. انظر : المقريزي: الخطط ، ج ٢ ، ص ٨ – ١٠ .

وقد دخلت هذه الكلمة في اللغة الفارسية، واستخدمها الكتاب الذين جاءوا بعد غزو جانكيز خان، وجمع هذه الكلمة آقا آن أو آقاوان أو آقايان [١].

ويؤكد الدكتور أحمد عبد الرازق أن أغا الطبقة في طباق المماليك السلطانية لم يكن من بين الطواشية الخصيان، بدليل أن المصادر المملوكية تذكر أن تانى بك الأياسي أغا طبقة الرفرف – إحدى الطبقات المكونة لطباق المماليك، كان له ابن يدعى أحمد [٢].

كذلك تذكر المصادر أن السلطان الغوري [٩٠٦ – ٩٢٢ هـ / ١٥٠١ – ١٥١٦ م] طلب من أغوات الطباق سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م أن يقوموا بتطليق زوجاتهم حتى لا ينظر أحد منهم خلفه عند خروجه لمحاربة العثمانيين . وهذا خير دليل على أن أغوات الطباق لم يكونوا من بين الطواشية الخصيان [٣].

---

(١) انظر: حسن الباشا: الفنون والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ج ١ ، ص ٣٦ ؛ انظر أيضا: أحمد عبد الرازق: العلاقات الأسرية في المصطلح المملوكي، مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد ٢٣ ، لسنة ١٩٧٦ م ص ١٧٤ ، حاشية (٦).

(٢) انظر: السخاوي: الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص٢٦ ؛ أحمد عبد الرازق: العلاقات الأسرية في المصطلح المملوكي ، ص ١٧٤ .

(٣) انظر: ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص٧ ، راجع أيضا :

- Ayalon, D., L`esclvage du Mamelouk , Pp . ٣٣ – ٣٤ , ٤٩ , ٦١, ٦٢;

- Ayalon, D., On the Eunuchs in Islam , P. ٩١ , note .١٠٢.

الخـــاتمـــة

وبعد، كان الهدف من هذه الدراسة إلقاء الضوء على فئة من الفئات التي عاشت في المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، هي فئة الطواشية .

وقد اتضح لنا من خلال الدراسة أن هذه الفئة ساهمت في تكوين أجيال من المماليك الفرسان وغيرهم من المساعدين للفرسان، وذلك عن طريق تربيتهم وتعليمهم الانضباط والأخلاق الحميدة والولاء، والجدية، منذ اللحظة الأولى لوصولهم إلى أراضى السلطنة رقيق صغار السن، وحتى يصيروا فرسانا أو سلاطين يحكمون الدولة ويدافعون عنها ضد أي معتد. كما ساهم الطواشية أيضا في تربية أولاد السلاطين وأولاد الأمراء داخل قصور الحريم السلطاني، ودربوهم على تحمل المسئولية والتمسك بالأخلاق الفاضلة، كما حافظوا بوجودهم داخل القصور السلطانية على انضباط الحياة داخل هذه القصور.

أيضا لاحظنا من خلال هذه الدراسة أن الطواشية استطاعوا أن يجعلوا لهم مكانة عالية وحُرمة وهيبة في البلاط السلطاني وفى المجتمع، وأنهم تمتعوا بثروات طائلة ، بل أنهم في بعض الأحيان استطاعوا التحكم في قضاء الأشغال والمصالح في الدولة .

كما توضح أيضا هذه الدراسة أن الطواشية شاركوا في الحياة الاجتماعية والثقافية عن طريق تعمير المدارس والجوامع التي فتحت أبوابها لأبناء البلد لتلقى العلم وممارسه العبادة، ولم يبخلوا بالصرف ووقف الأوقاف الكثيرة على هذه المنشآت لاستمرارها في أداء دورها في المجتمع.

وأخيرا فأنى أرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة .

والله من وراء القصد

قائمة المصادر والمراجع والمخطوطات

أ- المخطوطات

(١) ابن فضل الله العمري(شهاب الدين أحمد بن يحيى ، ت٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م):

" مسالك الأبصار في ممالك الأمصار". مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٤٣٧٦ ح (ج ٥) .

(٢) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م):

" آكام العقيان في أحكام الخصيان". مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٤١٦ مجاميع .

(٣) العينتابى (مظفر الدين محمود الحنفي، من علماء القرن ٩ هـ / ١٥ م)

" القول السديد في اختيار الإماء والعبيد". مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٧٧ مجاميع م، (الرسالة السابعة) .

(٤) القدسي (محمد أبى حامد القدسي، من علماء نهاية القرن ٩ هـ / ١٥ م):

" دول الإسلام الشريفية البهية وذكر ما ظهر لي من حكم الله الخفية في جلب طائفة الترك إلى الديار المصرية". مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٣٣ تاريخ.

ب- المصادر العربية المطبوعة

(١) ابن الأثير (عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م):
"الكامل في التاريخ"، بيروت ١٩٧٩ م.

(٢) ابن إياس (محمد بن أحمد ، ت حوالي ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م):
" بدائع الزهور في وقائع الدهور"، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٤ م.

(٣) ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م):
" النجوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة"، القاهرة ١٩٢٩ – ١٩٧٢ م.
"المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي"، القاهرة ١٩٨٤ – ٢٠٠٥ م، تحقيق محمد محمد أمين، نبيل محمد عبد العزيز.
" الدليل الشافي على المنهل الصافي"، تحقيق محمد فهيم شلتوت، القاهرة ١٩٨٣ م .

(٤) ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد ، ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م):
" إنباء الغمر بأبناء العمر"، تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٩ م .

(٥) ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبى،ت ٣٧٠ هـ / ٩٩٠ م):
" كتاب صورة الأرض"، ليدن ١٩٣٨ م .

(٦) ابن خرداذبة (عبد الله بن عبد الله ، ت حوالي ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م):
" المسالك والمالك"، ليدن ١٨٨٩ م .

(٧) ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبى بكر ، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م):
" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨ م.

(٨) ابن الصيرفي (علي بن داود الجوهري، ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م):

" نزهة النفوس والأبدان في تاريخ أهل الزمان"، تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٧٠ – ١٩٧٣ م.

(٩) ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم بن علي ، ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م):

" تاريخ الدول والملوك، المعروف بتاريخ ابن الفرات"، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت ١٩٣٦-١٩٤٨م .

(١٠) ابن الفقيه (أحمد بن محمد بن إسحاق، ت ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م):

" مختصر كتاب البلدان"، ليدن ١٨٨٥ م.

(١١) ابن قيم الجوزية(محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعي، ت ٧٥١ هـ /١٣٥١م):

" الفروسية الشرعية النبوية" ، تحقيق عزت العطار، مصر ١٩٤٢ م .

(١٢) ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم، ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م):

" مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"، ج ١ – ٣ تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣ – ١٩٥٧ م، ج ٤ – ٥ تحقيق حسنين محمد ربيع، القاهرة ١٩٧٢ – ١٩٧٧ م.

(١٣) أبوشامه (عبد الرحمن بن إسماعيل ، ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م):

" الروضتين في أخبار الدولتين"، تحقيق محمد حلمي أحمد ، القاهرة ١٩٦٢م .

" الذيل على الروضتين" . ط . دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤ م .

(١٤) أبو الفدا (إسماعيل بن علي، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م):

" تقويم البلدان"، نشر رينود وماك كوكين، باريس ١٨٤٠ م .

(١٥) الإصطخرى (إبراهيم بن محمد الفاسي ، ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م):

" المسالك والممالك" ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى، القاهرة ١٩٦١ م .

(١٦) ألف ليلة وليلة، ط . صبيح ، القاهرة د . ت.

(١٧) البكري(أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م):

" المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"، الجزائر ١٨٥٧ م .

(١٨) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م):

"مفاخرة الجواري والغلمان"، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٤- ١٩٦٥ م .

(١٩) خليل بن شاهين الظاهري،(ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م):

" زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك"، نشر بول رافسي، باريس ١٨٩٤ م .

(٢٠) السبكى (عبد الوهاب بن علي ، ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م):

" معيد النعم ومبيد النقم"، القاهرة ١٩٤٨ م.

(٢١) السخاوى(محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م):

" الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، مصر ١٣٥٤ هـ .

(٢٢) القلقشندى (أحمد بن علي ، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م):

" صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، القاهرة ١٩١١ – ١٩٢٢ م .

(٢٣) المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد، ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م):

" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ليدن ١٩٠٦ م.

(٢٤) المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي، ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م):

" السلوك لمعرفة دول الملوك "، ج ١-٢ تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة – ١٩٥٨ ١٩٣٤م، ج ٣-٤ تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٢م.

" المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار" المعروف بالخطط، طبعة بولاق، القاهرة ١٨٥٤م

(٢٥) ياقوت(شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي، ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):

" معجم البلدان"، بيروت ١٩٨٦م.

ج- المراجع العربية والمعربة

(١) أحمد عبد الرازق:

" العلاقات الأسرية في المصطلح المملوكي"، مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد ٢٣، القاهرة ١٩٧٦م.

(٢) أرشيبالد لويس:

" القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط"، القاهرة ١٩٦٠ م.

(٣)بوركهارت، جون لويس:

" رحلات بوركهارت"، ترجمة : فؤاد أندراوس، مصر ١٩٥٩م.

(٤) حسن أحمد محمود:

"الإسلام والثقافة العربية في إفريقية"، القاهرة ١٩٦٢م.

(٥) حسن الباشا:

"الفنون والوظائف على الآثار العربية"، القاهرة ١٩٦٦م.

(٦) حسين مؤنس :

"أطلس تاريخ الإسلام"، القاهرة ١٩٨٧م.

(٧) زاهر رياض:

"الممالك الإسلامية في غرب إفريقية"، القاهرة ١٩٦٨م.

(٨) سعيد عبد الفتاح عاشور:

"العصر المماليكي في مصر والشام"، القاهرة ١٩٦٥م.

" المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك"، القاهرة ١٩٦٢م.

(٩) سيدة إسماعيل الكاشف:

" مصر في عصر الإخشيديين"، القاهرة ١٩٥٠م.

(١٠) لطفي عبد البديع:

" الإسلام في إسبانيا"، القاهرة ١٩٥٨م.

(١١) ليلى عبد الجواد إسماعيل:

" تاريخ الروس من خلال المصادر العربية"، القاهرة ١٩٩٠م.

(١٢) ماركوبولو:

" رحلات ماركوبولو"، ترجمة: عبد العزيز جاويد، مصر ١٩٧٧م.

(١٣) محمد رمزي:

" لقاموس الجغرافي للبلاد المصرية"، القاهرة ١٩٩٤ م.

(١٤) نعوم شقير:

" جغرافية وتاريخ السودان"، بيروت ١٩٧٢م.

Israel

د- المراجع الأجنبية

(1) Ayalon, D.,

a- L' esclavage du Mamelouk (Oriental Notes and Studies, by the Oriental Society), Jerusalem, 1951.

b- On the Eunuchs in Islam, Jerusalem Studies in Arabic and Islam. 1. Jerusalem, 1979.

c- The Eunuchs in the Mamluk Sultanate, Studies in Memory of Gaston Wiet, Jerusalem, 1977.

(2) Heyd, W.:

Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, T,I, T.II, Leipzig, 1923.

(3) Lewis, B.:

a- Race and Color in Islam, London, 1971.

b- Race and Slavery in the Middle East, Oxford, 1990.

(4) Saunders, J. J.:

- A history of Medieval Islam, London, 1962.

(5) Schefer, C.:

Le Voyage d' Quatremer de Jean Thenaud, Paris. 1864.